

ومن يتأمل التاريخ على طُول مداه يجد أنَّ من أكبر أسباب انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات وتحلل الأخلاق وفساد القيم وفساد الجرائم هو تبرج المرأة، ومخالطتها للرجال، وبُمالغتها في الزينة والاختلاط، وخلوتها مع الأجانب، وارتيادها للمتنديات والمجالس العامة وهي في أتم زينة وأبهى تجمل. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «لَا رِيبَ أَنَّ تَمْكِينَ النِّسَاءِ مِنْ اخْتِلاطِهِنَّ بِالرِّجَالِ أَصْلُ كُلِّ بُلْلَةٍ وَشَرٍّ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْعَقُوبَاتِ الْعَامَةِ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ فَسَادِ أَمْوَالِ الْعَامَةِ وَالخَاصَّةِ، وَاخْتِلاطُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ سَبُّ لَكْثَرِ الْفَوَاحِشِ وَالْزَّنَاءِ، وَهُوَ مِنْ أَسْبَابِ الْمَوْتِ الْعَامِ وَالظَّوَاعِنِ الْمُتَصَلِّهِ»<sup>(١)</sup> انتهى كلامه رحمه الله.

والإسلام لم يفرض على المرأة الحجاب ولم يمنعها من تلك الأمور إلا ليصونها عن الابتذال، وليرحميها من التعرض للريبة والفحش، وليمعنها من الوقوع في الجريمة والفساد، وليسوها بذلك حلة التقوى والطهارة والعفاف، وسدَّ بذلك كل ذريعةٍ تفضي إلى الفاحشة، يقول الله تعالى: **﴿وَقَرَنَ فِي بَيْوَكَنَ وَلَا تَبَرَّجْتَ تَبَرُّجَ الْجَنَاحِلَةِ الْأُولَى﴾** [الأحزاب: ٣٣]، ويقول تبارك وتعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ جَهَابِ ذَلِكُمْ أَطْهَرْ لَقْلُوكُمْ وَقَلْوَاهِنَ﴾** [الأحزاب: ٥٣]، ويقول تبارك وتعالى: **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَقْضُضُنَّ مِنْ أَبْصَرِهِنَ وَيَحْفَظُنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَيِّنَنَ زِينَتَهُنَ الْأَمَّا ظَهَرَتِهِنَّ وَلَيَقْرَنَ بِعُمُرِهِنَ عَلَى جُوَوِينَ﴾** الآية [السور: ٣١]، ويقول الله تعالى: **﴿كَتَبَهَا الَّتِي قُلْ لَأَرْوِيْكَ وَبَنَاكَ وَنِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ مَدِينَ عَلَيْنَ مِنْ جَلَدِهِنَ ذَلِكَ أَدْقَنَ أَنْ يُعْرَفَ لَأَرْبُوْذَنْ وَكَانَ اللَّهُ عَمُورَأَرْجِيْمَا﴾** [الأحزاب: ٥٩]، وقال الله تعالى: **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقَنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾** [الأحزاب: ٣٢].

المفاسد والمضار ما لا يدرك مداه ولا تحمد عقباه، ولهذا خافها النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته خوفاً عظيماً، وحذر - صلوات الله وسلامه عليه - كثيراً من مغبةها وسوء عاقبتها نصحاً للأمة ومعدراً في بيان دين الله تبارك وتعالى، ولقد كان - عليه الصلاة والسلام - معلماً أميناً وناصحاً مشفقاً، فما ترك خيراً إلا دلَّ الأمة عليه ولا شرّ إلا حذرها منه.

روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَصَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ»**<sup>(٢)</sup>، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**<sup>(٣)</sup>.

والأحاديث عن نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - كثيرة جداً في هذا الباب العظيم؛ صيانةً للمجتمع والأمة، ومحافظة على المرأة ورعايتها لها، وهذه الأحاديث وغيرها مما جاء عن رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعدُّ بحق صمام أمان للمرأة ولبيتها ولمجتمعها بأسره من أن تَحُلَّ به الرَّذيلة أو أن يتَّشَرَّ في الشر والفساد، فإنَّ المرأة متى تمسكت بتعاليم الإسلام سعدت في الدنيا والآخرة، وساعدت في بناء مجتمع قويٍّ متماسِكٍ نَزِيْهٍ مَلِيْعٍ بالطهر والعفاف، وإن تخلَّت عن هذه التعاليم ترددت في مهاوي الرَّذيلة وسقطت في حماة الفساد وفقدت كرامتها ومكانتها و منزلتها الرَّفيعة، فإنَّها إن تلوَّثت بالرَّذيلة جلَّت العار والشَّنَار لنفسها وأهلها وقرباتها، ونكست رُؤُوسَهُمْ وحطَّت من أقدارهم بين الناس، وإن حملت من ذلك فقتلت ولدها: جمعت بين القتل والزَّنا، وإن أدخلته على زوجها أو أهلها أدخلت عليهم أجنبياً ليس منهم، يخلو بهم ويرثهم وينسب إليهم وليس منهم، إلى غير ذلك من المفاسد.

إنَّ الدين الإسلامي الحنيف بتوجيهاته السديدة وإرشاداته الحميَّدة صان المرأة المسلمة، وحفظَ لها شرفها وكرامتها وتَكفلَ لها بِعَزَّها وسعادتها، وهيا لها أسباب العيش الهنيء بعيداً عن مواطن الريب والفتنة والشر والفساد. وهذا كله من رحمة الله جلَّ وعلا بعباده حيث أُنزل لهم شريعته ناصحة لهم ومصلحةً لفسادهم ومقومةً لاعوجاجهم ومتکفلةً بسعادتهم؛ ومن ذلك ما شرَّعَهُ الله تبارك وتعالى من التَّدَابِيرِ العظيمة والإجراءات القوية التي تقطع دابر الفتنة بين الرجال والنساء، وتعين على اجتناب الموبقات والبعد عن الفواحش المُهَلَّكَاتِ رَحْمَةً منه بهم وصيانته لأعراضِهم وحمايةً لهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

والمرأة المسلمة تعيش في كفَّ الإسلام وفي ضوء توجيهاته وآدابه العظام عيشةٌ هنيئةٌ ملؤها السعادة والعز والطمأنينة والرُّفعة في الدنيا والآخرة، شعارها السُّتر والعفاف، وذرارها الطهر والرِّباء، ورأيتها إشعاع الأدب وتبثيت الأخلاق، وغايتها صيانة الشرف وحماية الفضيلة، وستبقى المرأة المسلمة رفيعة الجانب، عزيزة المثال، صيَّنةُ الأخلاق ما دامت مُتمسكةً بدينها، محافظةً على أوامر ربها، مطيعةً لنبِّهَها رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلمةً وجهها لله، مُذْعنةً لشرعه وحكمه، قائمةً بِحُقُوقِ الإِسْلَامِ وواجباته وآدابه العظام بكل راحة وثقة واطمئنان غير ملتفته إلى الهمَّ من الناس من دُعَاءِ الفاحشة والفتنة؛ لتناول بذلك السعادة والراحة في الدنيا والآخرة وتناول الثواب العظيم والأجر الجليل يوم لقاء الله تبارك وتعالى.

وقد جاء في الإسلام ما يدلُّ على أنَّ الفتنة بالنساء إذا وقعت يترتبُ عليها من

<img alt="A vertical banner featuring Arabic calligraphy on a red gradient background. The top section contains the text 'فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ' (A trial in the land), 'الْمُسْرِدُونَ' (those who are cast down), and 'وَضَرُّ' (and affliction). The bottom section features the text 'إِعْدَادٌ' (Preparation) above 'الْأَخْتِلَاطُ' (Mixing), followed by 'بِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرِيِّ' (by Abu'l-Hasan Abdur-Rahman Al-Badr).</div>

# العام الصحيح

**تنبيه:** وثمة أصل عظيم لابد من التنبيه عليه في هذا المقام ألا وهو: أنَّ أحكام الشرع المتعلقة بالمرأة أو غيرها محكمةٌ غاية الإحكام متقدمةٌ على الإنقان لا نقص فيها ولا خلل ولا ظلم فيها ولا زلل، كيف وهي أحكام خير الحاكمين وتنتزيل رب العالمين!! الحكيمُ في تدبیره، البصیر بعباده، العليم بما فيه سعادتهم وفلاحهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، ولهذا فإنَّ من أعظم العُدوان وأشد الإثم والهوان أن يقال في شيءٍ من أحكام الله المتعلقة بالمرأة أو غيرها أن فيها ظلماً أو هضماً أو إجحافاً أو زللاً، ومن قال ذلك أو شيئاً منه فما قدر ربَّه حقَّ قدره ولا وقرَّه حقَّ توقيره، والله جلَّ وعلا يقول: ﴿إِنَّ الْكُفَّارَ هُوَ الظَّالِمُونَ لِلَّهِ وَقَاتَلُوا إِنَّمَا﴾ [سورة النساء: 113] أي لا تعاملونه معاملة من توقرونه. والتوقير: التعظيم؛ ومن توقيره سبحانه أن تلتزم أحكامه وتطاع أوامرها ويعتقد أنَّ فيها السَّلامَةُ والكمالُ والرُّفعةُ، ومن اعتقد فيها خلاف ذلك فما أبعده عن الوقار وما أجرده في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.

ذلك فما أبعده عن الوقار وما أجدره في الدنيا والآخرة بالخزي والعار.  
اللهم اشرح صدورنا للالتزام بشرطك، والتمسك بدينك، وجنّبنا اللهم  
الفتن كلها ما ظهر منها وما بطن، اللهم أصلح نساء المسلمين وبنائهن،  
اللهم وفقهن لما تحب وترضى، اللهم جنّبهن مواطن الريبة والزلل واهدهن  
سواء السبيل، اللهم وجنّبهن دعوة الشر والفساد يا حي يا قيوم يا ذا الجلال  
والإكرام، اللهم آمن رواعتنا واحفظ عوراتنا، اللهم واحفظنا من بين أيدينا  
وعن أيدينا وعن شمائنا ومن خلفنا، اللهم إنا إليك نلتجأ وبك نستغيث أن  
تحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا يا ذا الجلال والإكرام.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ رَوْجَهَا، قَبِيلَ لَهَا ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ آبَابِ الْجَنَّةِ شِئْتَ» [ صحيح الجامع: ٦٦٠ ]

رووى الترمذى في جامعه عن النبي ﷺ أنه قال: «المرأة عورٌة، فإذا خرَجت استشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»<sup>(٤)</sup>، ومعنى «استشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ» أي جعلها غرضاً له ليهيج من خلالها الفساد والشهوة.

وعن أم حميد الساعدية حَدَّثَنَا أَنَّهَا جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يا رسول الله! إني أحب الصلاة معك، قال: «قد علمت أنك تحيي الصلاة معني، وسلامتك في بيتك خير لك من صلامتك في حجرتك، وسلامتك في حجرتك خير من صلامتك في دارك، وسلامتك في دارك خير لك من صلامتك في مسجد قومك، وسلامتك في مسجد قومك خير لك من صلامتك في مسجدي»<sup>(٥)</sup>.

وعن أبي هريرة حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرٌ صُنُوفُ الرِّجَالِ أَوْهُنَّا وَشَرُّهُنَّا آخِرُهُنَّا، وَخَيْرٌ صُنُوفُ النِّسَاءِ آخِرُهُنَّا وَشَرُّهُنَّا أَوْهُنَّا»<sup>(٦)</sup>.

كل ذلك حفظاً للمرأة من الاختلاط بالرجال ومزاحمتهم؛ وهذا في حال العبادة والصلة التي يكون فيها المسلم أو المسلمة أبعدَ ما يمكن عن وسوسة الشيطان وإغوائه، فكيف إذاً بالأمر في الأسواق والأماكن العامة والمنتديات!! ولما دخلت على عائشة عليها السلام مولاتها وقالت لها: «يا أم المؤمنين طفتُ بالبيت سبعاً واستلمنت الركن مرتين أو ثلاثة»، قالت عائشة عليها السلام: «لا آجرك الله، لا آجرك الله، تُدَافِعِينَ الرَّجَالَ !! أَلَا كَبْرٌ وَمَرْرٌ»<sup>(٢)</sup>، قالت لها ذلك مع أنها في أشرف مكانٍ وخير بقعة، مكان طاعة جوار الكعبة؛ فكيف الأمر بمن تُزاَحِمُ الرِّجَالَ في الأسواق والأماكن العامة والمنتديات وهي في كامل زيتها وأجمل حليتها وأبهى تعطرها!!

(1) صحيح البخاري (5096)، ومسلم (2740). (2) صحيح مسلم (2742). (3) الطرق الحكمية

(4) رواه الترمذى (1173) من حديث عبد الله بن مسعود ، وصححه الألبانى في (ص239).

<sup>5</sup> رواه أحمد في مسنده (27090)، وحسنه الألباني جملة في صحيح الترغيب صحيح الترمذى (936).

<sup>(6)</sup> صحيح مسلم (440).  
<sup>(7)</sup> مستند الشافعى (605)، والستن الكبير للبيهقي (9535).